جريدة : الشروق التاهيلية ربيع الثاني.

النفايات الطبية بالجهة الشرقية ناقوس يدق نعش الصحة العمومية

هل تضارب الآراء بين المسوولين دليل على وجود بعض التجاوزات البينية ؟

كانت ولا زالت البيئة أحد أهم المحطات عالميا, ذات الشأن العالي و الأهمية الفائقة,فالعلاقة التي تربطنا بها علاقة تلازم لا ارتجاج فيها, فكلما سخرنا عطاءنا وحافظنا عليها, أنعمنا على أنفسنا بالصحة والسلامة. لذا ارتئينا اليوم أن نغير الوجهة, ونرفع الستار عن المخلفات الطبية كأحد أهم وأخطر المواضيع التي قد تهدد بيئتنا وسلامتنا. فالمخلفات الطبية يمكن اعتبارها كل أداة أو مادة مستخدمة للتشخيص ومعاينة المرض داخل المرافق الطبية حصل وأن تلوثت بدم أو سائل من جسم المريض أو شخص عاد المستشفى لأغراض استشفائية بطريقة مباشرة, سواء كان المرض معديا أو غير معدي وأريد التخلص منها, تدخل في إطار النفايات الطبية. إن هذه الأخيرة, تشكل مصدرا مثيرا للقلق في صفوف المواطنين بصفة عامة والبيئة بصفة خاصة. لهذا الغرض سنحاول أن نسلط الضوء على هذا المشكل بالجهة الشرقية. وللإلمام بمختلف جوانب الموضوع, سنعزز تحقيقنا بإفادات وشهادات من المراكز الاستشفائية والبلدية دون تهميش المجتمع المدني الذي يلعب دورا مهما في المحافظة على البيئة. وإذا كان التباين في الرأي قد يبعد وجهات النظر بين المتدخلين في معالجة النفايات الطبية فإنه وبلاشك يضع اليد على واحد من أخطر المواضيع حساسية بالنسبة للصحة العمومية.

كما لا يخفى على ساكنة الجهة الشرقية, يعد مستشفى الفارابي وجهة كل مواطني المنطقة الشرقية, خاصة ساكنة مدينة وجدة. لذا قررنا كفريق التحقيق أن نوجه نظرنا إليه ونركز عليه لدوره الرئيسي في العملية الاستشفائية, وكان بذلك أول وجهة نتصل بها.

السيدة مريم منير رئيسة مصلحة المحافظة على الصحة الاستشفائية بالمستشفى في صباح التاسع من فبراير من السنة الحالية 2009 أفادت في حوار معها بأن النفايات الطبية يتم عزلها وذلك حسب خطورتها, حيث تعزل حسب تصريحها كما هو متعارف عليه إلى نوعين :

- نفايات طبية لا تتطلب اجراءات خاصة مثل النفايات المنزلية والتي يتم وضعها في أكياس سوداء.
- نفايات طبية خطيرة تتطلب اجراءات خاصة, لما قد تسببه من خطر, وتضم في لائحتها إبر, محاقن, أعضاء بشرية, أكياس الدم, وكل ما يزال أو يستئصل أثناء عملية جراحية, حيث يتم وضع الإبر في علب خاصة محكمة الإغلاق, أما الأعضاء البشرية فيتم تكفينها ودفنها بعد ترخيص بلدي بذلك وأما القيح فيمر بعملية الغسل بماء جافيل قبل أن يلقى بالواد الحار وما تبقى فيوضع في أكياس حمراء ليتم بعد ذلك طحنها من طرف أطر خاصة, للتقليل من خطورتها وذلك باتخاذ جميع اجراءات الوقاية و الحيطة, وأضافت " تتم هذه العملية باستمرار وتسجل كمية النفايات الطبية المعالجة في سجلات خاصة توضع تحت تصرف رئيسة المصلحة".

تعبر النفايات الطبية كل هذه المراحل لتصل في الأخير إلى المطرح العمومي بالمنطقة و المتواجد على بعد 7 كلم جنوب وجدة.

لكن التصريح لا يطابق الواقع دائما حيث عاين فريق التحقيق بجوار باب مطحنة المستشفى أكياسا حمراء غير مسدودة, محاطة بنفايات طبية أخرى ملقاة على الأرض إضافة إلى إبر. إذن فبماذا يفسر هذا الواقع؟

للإجابة على هذا الاستفسار صرح أحد العاملين بمجال جمع النفايات بالمستشفى أن " المراقبة تتم باستمرار وأن كل ما هو خطير فهو يحرق" .

أخذتنا الرحال في المحطة الثانية, إلى مصحة المغرب والتي أكد فيها الممرض "هشام" ما ذكرته رئيسة مصلحة المحافظة على الصحة الاستشفائية بالفارابي, وكذا الشراكة التي تربط المصحة بالمستشفى, والتي بمقتضاها يتم نقل المخلفات الطبية الخطيرة إلى الفارابي قصد معالجتها, ومرة أخرى عاين الفريق بأحد المرافق سلة مهملات بها ضمادات ملطخة بالدم, حقن, إضافة إلى نفايات عادية أخرى, و ذلك بدون توفر لا كيس أسود ولا أحمر. ولدى خروجنا أفاد أحد عاملي النظافة بالطرق قرب "مصحة المغرب" وجارتها "مصحة أمراض الكلي والتصفية الدموية الشرق" بشهادته حيث قال: "أثناء قيامي بعملي, أجد مجموعة من مختلف أصناف النفايات الطبية (إبر, أدوية...) أتكلف بجمعها مع باقي النفايات بالعربة, حيث تعبر هذه الأخيرة طريقها لتصل إلى المطرح العمومي " غير أن هذا العامل فاجأنا بتصريحه الذي يقر فيه بأنه " لا يتم عزل هذه النفايات أو إحراقها ".

وإذا كانت بعض الجهات قد أثرت التصريح لنا, فقد تعثر تحقيقنا, عند بعض المحطات كالمصحة الدموية لتصفية الكلي وجدة اسلي التي رفضت استقبالنا بحجج واهية, تخفي الكثير من الغموض, شأنها في ذلك شأن المختبرات التي أوصدت الأبواب في وجهنا, والشركة المختصة بجمع النفايات وحتى الفاعلين الجمعويين في البيئة.

وأكد مستخدم في الهلال الأحمر المغربي بوجدة عملية عزل النفايات ومعالجتها وكذا وضع الإبر في قارورات خاصة معقمة (ماء جافيل). غير أن الواقع يوضح العكس, حيث لاحظ فريق التحقيق أن بالقرب من مقر الهلال الأحمر بقايا نفايات طبية خطيرة (إبر, محاقن) في الهواء الطلق أمام أعين المارة.

وواصلنا التحقيق لنصل الى البلدية, حيث تمكنا من محاورة طبيب البلدية الدكتور العويسي والذي أفادنا قائلا : " إن النفايات الطبية الخطيرة, يمنع إخراجها من المستشفى, وذلك طبعا لما تشكله من خطورة على الوسط الخارجي, حيث يجب أن تتم أولا معالجتها بالمشفى ثم تعقم وتطحن في آلات خاصة, غير أن هناك صنفا آخر من النفايات, تعرف بالنفايات النووية المستعملة لعلاج السرطان و الكشف بالأشعة والتي يتم جمعها في علب خاصة وايداعها في مقر مختص بالرباط أو الدار البيضاء قصد معالجتها لاحقا. أما بالنسبة للسوائل الطبية والتي تستعمل في المختبرات الطبية فهي تخضع لتعقيم ثم تلقى بالواد الحار. و لا يمكن أن ترمى مواد أخرى من غير السوائل في الواد الحار. وبخصوص الأدوية المنتهية الصلاحية,فالبلدية تتكلف بحرقها بعد التوصل بها, وتتم عملية الحرق في حفر بمكان بعيد وتحت إشراف أطرمختصة لعدم وجود مكان مخصص لها". وصرح طبيب البلدية كذلك بأنه هناك بعض المراكز الطبية التي تلقي المخلفات الطبية الخطيرة دون معالجة !! إضافة إلى كل هذا, أكد على الشروط التي تضمن السلامة الحقة ولخصها كالآتي:

- يجب أن يتم النقل في شاحنات خاصة وغيرمكشوفة .
- ضرورة إغلاق الأكياس الحمراء باحكام .

كما شدد على أن التهاون في هذه الشروط قد يودي بحياة عاملي النظافة نظرا للأمراض الخطيرة التي قد تسبب فيه هذه المخلفات أهمها: مرض السيدا، التهاب الكبد، الكباد Bو C . وكان المطرح العمومي آخر محطة تصل إليها المخلفات الطبية, حيث تردم وتغطى التراب, غير أن هذه العملية قد تبوء بالفشل, كما صرح طبيب البلدية،حيث أفاد:" بأن هذه النفايات تنتج عنها مختلف الغازات والسوائل والتي قد تكون سامة" فيقول:" أن 1 غرام من السائل يمكن أن ينتج عنه 25 مليون جرثومة" زيادة على هذا " تسبب الروائح الكريهة مشكلا للسكان إضافة إلى أن الحشرات والفئران والكلاب الضالة يمكن لها أن تؤثر على الإنسان وتنقل له عدوى الداء الذي تسبب فيه النفايات". وتبقى الطبيعة هي الأكثر تأثرا بهذه النفايات وخاصة التربة والمياه الجوفية. ولتفادي هذا المشكل العويص والذي قد يتفاقم مع مرور الزمن ذكر طبيب البلدية أنه يجب أن تمر معالجة سوائل هذه النفايات الطبية بعملية خاصة حيث توضع في قنوات وبعدها في صهاريج لكي لا تنفذ إلى الأرض.

وللإلمام بكل جوانب الموضوع حاولنا تعزيز التحقيق بشهادة من جمعية حماية المستهلك, ونفى الدكتور حمداوي أن يكون للنفايات الطبية دخل في أمراض الأوبئة المنتشرة بالمنطقة, وصرح بأن الأغذية المصنعة والملوثة والمواد المسقية بالواد الحار هي التي تتسبب في ظهور الأمراض الخطيرة كالسرطان. وصرح إلى جانب ذلك أن النفايات الطبية وما قد تسببه من خطورة في نقل الأمراض تتعرض لتعقيم بواسطة هالوجينات وهي عبارة عن مضادات حيوية, أما الدم فيحرق, وأما المواد المستعملة في العمليات الجراحية والأعمال الطبية فيتم تعقيمها إما بالبخار أو بالهواء الجاف. وذكر أن هذه العمليات تطبق بنسبة تتراوح بين 70% أو 80 % ليتراجع ويصرح بنسبة 100%. وأشاد بالدور الذي تلعبه مديرية التفتيش التابعة لوزارة الصحة والذي تقوم بالمراقبة موسميا أو شهريا.

أما مسؤول التواصل بالمكتب الوطني للماء الصالح للشرب الذي أجرينا حوارا معه أفاد بأنه :"عندما تتم عملية معالجة الماء يتم إيجاد مجموعة من النفايات الطبية كالإبر, المحاقن وغيرها من النفايات الطبية في مجاري الواد الحار, والتي يتم عزلها في المرحلة الأولى لعملية التصفية ". أسئلة كثيرة تتبادر إلى الذهن بمدينة وجدة والجهة الشرقية حيث يعمد العديد من المزارعين إلى السقي بالمياه المستعملة ومياه الواد الحار غير المعالجة.

وأما المسؤول عن خلية صحة البيئة بمندوبية وزراة الصحة فقد أكد أن المراكز الصحية تقسم إلى قسمين:

- مستشفيات عمومية وهي التابعة لمندوبية وزراة الصحة.
- مستشفيات خاصة وهي غير خاضعة لسلطة مندوبية وزراة الصحة: مصحات،عيادات،هلال أحمر.

وأكد هذا الأخير, على أن المستشفيات التابعة للمندوبية تقوم بجميع الإجراءات لمعالجة النفايات الطبية, غيرأنه نفى تواجد أفران بالمصحات وهو ما يفيد أن عملية الحرق لا تتم وتصبح النفايات الخطيرة في مرتبة النفايات العادية حيث تلقى معها, دون أي اكثرات بخطورتها على البيئة. واقر بأنه ليست هناك سلطة حقيقية للبلدية على المصحات, مما يجعل هذه الأخيرة لا تحترم دفتر التحملات. إضافة إلى كون الأعضاء البشرية تسلم لأصحابها الذين يتحملون مسؤولية تكفينها ودفنها. كما صرح, بأنه لا يوجد أي نص قانوني تتم بموجبه مراقبة المصحات, وبالتالي لا تتم المراقبة على مستوى المصحات وغيرها, بينما تنحصر المراقبة من طرف تقنيين مختصين على المؤسسات التابعة للوزارة فقط.

وللمزيد في هذا التحقيق اتجهنا نحو مطرح النفايات الحديث العهد, والمتواجد على حدود مدينة وجدة 7 كلم في اتجاه الجنوب حيث اتصلنا في بادئ الأمر بالسيد' الطيب حمودي' المسؤول العام للنفايات الذي أكد أن النفايات الطبية

تصل إليهم عبر شاحنات violia دون أن تحرق أو توضع في فرن وهذا راجع للعطب الموجود في فرن مستشفى الفارابي, ثم يقوم عمال المطرح بدفنها لا بإحراقها كما أكد لنا " أن الشاحنات الطبية تأتي مرة واحدة في الأسبوع أو مرتين معظمها ليلا" وهذا ما فنذ التصريح الذي قدمته رئيسة مصلحة المحافظة على الصحة الاستشفائية بالفارابي, حيث أكدت:" إن النفايات يتم طحنها ثم تأخذ لمطرح النفايات" وقصد الإلمام أكثر بهذا الموضوع استقبلنا السيد "الخير عبد القادر" مهندس جماعي، المسؤول عن المطرح العمومي لمدينة وجدة و كانت وجهة نظره :" إن هذه النفايات الطبية يؤتى بها من عدة مؤسسات سواء الخاصة منها أو العامة, ونحن بدورنا نقوم بدفنها في مكان معزول لأننا لا نقوم بحرقها نظرا لكميات الغاز الوافرة التي تنتجها ونقوم بذلك باعتمادنا على الطريقة التالية ". هذه الطريقة التي وصفها المهندس بكونه

غير مضرة إطلاقا بالتربة بصفة خاصة و بالبيئة بصفة عامة حيث صرح بما يلي :" في بادئ الأمر نضع طبقة سميكة من الصلصال الذي يتصف بكونه لا يسرب هذه المواد الخطيرة الموجودة في النفايات الطبية" وأكد هذا المسؤول أن هذا المطرح يتوفر على الشروط اللازمة التي تتوفر عليها المطارح الغربية و الأوربية.

- لكن هل يكفي توفرنا على مطرح بالمعايير الدولية لدرء خطر النفايات الطبية ؟

خصوصا وأن النفايات الطبية يتم دفنها وليس إحراقها لكن ومع ذلك لاحظنا بذات المطرح العمومي عدة نفايات طبية لم يتم دفنها مثل : زجاجات الماء الحيوي وحبل سري ملوث بالدم إضافة إلى الأشعة الطبية. وإن كانت آثار الجرافات التي قامت بعملية الدفن, لاتزال على حداثة عهدها التي قد ترتبط بزيارتنا المفاجئة ... وكأننا بالمسؤولين اعتمدوا فكرة أن المهم إطفاء الحريق وليس المهم شكل الماء .

ويستمر السؤال العريض حول آثار النفايات الطبية على الصحة العمومية, ورغم تسرب البعض عن الإجابة, وإخفاء البعض الآخر للحقائق فإن الوقوف على واقع الأمر يؤكد بما لا يدع أي مجال للشك أن الخوف من الشمس لا يمنع الشروق وأن خطر النفايات الطبية حقيقة لا مفر من مواجهتها بدل سياسة الهروب إلى الأمام.

من اعداد تلاميذ الثانوية التأهيلية زينب النزاري :

لمطي جواد
النازا سعيد
حماد سهيل

بيلودي شيماء
بشداد مريم
أزوت فردوس
عشمي خزان

تحت إشراف الأستاذ
بنلسو محمد